المسائل العقدية المتعلقة بتوحيد الألوهية في التفسير (المعين على تدبر الكتاب المبين) مجد بن أحمد مكي

Doctrinal issues related to the oneness of divinity in interpretation (The Helper in Contemplating the Clear Book) Majd bin Ahmed Makki

إعداد

أروى بنت إبراهيم الجنيدل

Arwa Ibrahim Al-Junaidel

مسار العقيدة والمذاهب المعاصرة – قسم الدراسات الإسلامية

كلية التربية – جامعة الملك سعود

د. هند بنت أحمد العصيمي

Dr. Hind Ahmed Al-Asimi

أستاذ العقيدة المشارك - بقسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية – جامعة الملك سعود

Doi: 10.21608/jasis.2024.387100

استلام البحث	١٧ / ٧ / ٢٠٢٤
قبول البحث	٣ / ٨ / ٢٠٢٤

الجنيدل، أروى بنت إبراهيم و العصيمي، هند بنت أحمد (٢٠٢٤). المسائل العقدية المتعلقة بتوحيد الألوهية في التفسير (المعين على تدبر الكتاب المبين) مجد بن أحمد مكي. ***المجلة العربية للدراسات الاسلامية والشرعية***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر ، ٨(٣٠)، ١- ٣٨.

http://jasis.journals.ekb.eg

المسائل العقدية المتعلقة بتوحيد الألوهية في التفسير
(المعين على تدبر الكتاب المبين) مجد بن أحمد مكي

المستخلص:

يهدف هذا البحث لبيان المسائل العقدية المتعلقة بتوحيد الألوهية في تفسير (المعين على تدبر الكتاب المبين) لـ مجد بن أحمد مكي، ومدى موافقة أقواله لمعتقد أهل السنة والجماعة . ويظهر في هذا البحث أن المراد بتوحيد الألوهية هو إفراد الله بالعبادة، وأنه المستحق لها وحده لا شريك له، كما يبين أن معنى الشهادة هو التألّه والتعبد لله وحده لا شريك له، وقد دلل مكي على توحيد الألوهية بعدة أدلة نقلية وعقلية، ومما يقرره البحث أن توحيد الألوهية هو التوحيد الذي من أجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، وكان أول دعوة جميع الرسل، وهو أصل الدين وأساسه، وأن الشرك في الألوهية هو إشراك غير الله مع الله في أي نوع من أنواع العبادة، كما أن الشفاعة أصل من أصول توحيد الألوهية وهي ملك خاص له سبحانه، ولا تكون لغيره إلا بعد إذنه ورضاه . وهذا الذي تقرر هو ما ذهب إليه السلف رضوان الله عليهم أهل السنة والجماعة ونصوا عليه في عقائدهم وتفاسيرهم ، وهو ما دلت عليه نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية .

الكلمات المفتاحية : التوحيد – الربوبية – الألوهية - أهل السنة والجماعة – مجد مكي .

Abstract:

This research aims to clarify the theological issues related to the Oneness of Divinity (Tawhid al-Uluhiyyah) in the interpretation of Al-Mu'een 'Ala Tadabbur al-Kitab al-Mubeen by Majd ibn Ahmad Makki, and to examine the extent to which his views align with the beliefs of Ahl al-Sunnah wa al-Jama'ah (the people of the Prophetic tradition and the community). The research demonstrates that the intended meaning of Tawhid al-Uluhiyyah is the exclusive devotion to Allah in worship, as He alone is deserving of it with no partner. It also clarifies that the meaning of the testimony of faith (Shahada) is to worship and devote oneself to Allah alone. Makki substantiates Tawhid al-Uluhiyyah through several textual and rational evidences. Furthermore, the research asserts that Tawhid al-Uluhiyyah is the form of monotheism for which the prophets were sent and

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

the scriptures were revealed. It was the first message of all the prophets, forming the foundation of religion. Associating others with Allah in His divinity is to involve others with Him in any form of worship. Moreover, intercession is one of the foundations of Tawhid al-Uluhiyyah and is exclusively under Allah's dominion; it cannot be granted to others except by His permission and approval. This conclusion aligns with the stance of the pious predecessors (Salaf), Ahl al-Sunnah wa al-Jama'ah, who have articulated it in their creeds and interpretations, and it is affirmed by the texts of the Qur'an and the Prophetic traditions.

Keywords: Tawhid – Lordship – Ahl al-Sunnah wa al-Jama'ah – Majd Makki.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن علم العقيدة الإسلامية هو عماد الدين وأساسه الذي يبنى عليه، وهو أشرف العلوم؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم، وحاجة العباد إلى تحقيق العقيدة الصحيحة فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة؛ لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكون مع ذلك أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه، لذا كان أشرف ما يتعلمه الإنسان ويعلمه غيره.

وإن أول مصادر العقيدة عند أهل السنة والجماعة القرآن الكريم، وقد اعتنى العلماء قديما وحديثا بتفسيره وخدمته، وتنوعت مذاهب المفسرين، فمنهم من فسره بالآثار، ومنهم من فسره بالرأي، ومنهم من تأوله على غير تأويله، ومنهم من خالف عقيدة أهل السنة والجماعة ففسر القرآن وفق هواه وعقيدته.

وقد اختلفت كتب التفسير في طريقة تصنيفها من حيث البسط والتفصيل والتحليل، أو الإيجاز والاختصار والإجمال، وأيضًا قد اختلفت مضامينها حسب عقائد ومذاهب مؤلفيها، حيث إنَّ بعضها على المنهج الصحيح السليم في باب الاعتقاد، وبعضها

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

مشوبٌ ببعض المخالفات العقدية التي تحتاج إلى دراسة لتقويمها وتنقيتها مما شابها من المخالفات، وتبيين مواضع الخطأ والانحراف فيها.

مشكلة البحث :

لما كانت التفاسير المختصرة الأكثر انتشارا بين المسلمين في أرجاء العالم من التفاسير المطولة، وكان من أبرز هذه التفاسير (المعين على تدبر الكتاب المبين) لما تميز مؤلفه من مكانة علمية في عصرنا الحاضر، فكان لدراسة أقوال مؤلفه في توحيد الألوهية أهمية ليتبين موقفه ومدى موافقته لمعتقد السلف.

أهمّية البحث وأسباب اختياره :

١-أن أول مصادر تلقي العقيدة عند أهل السنة والجماعة القرآن الكريم، وتفسيره .

٢ - المكانة العلمية العظيمة لكتب التفسير ولمصنفيها على اختلاف مناهجهم، وأثرها الكبير على عقائد العامة، ومنها هذا التفسير -موضوع الدراسة- .

٣ - اعتماد كثير من المهتمين بالتفسير والتدبر والمواعظ في الوقت الحاضر على هذا التفسير، والعناية الكبيرة بدراسة ما تضمنته، فكانت المشاركة في معرفة موقف مؤلفه من المسائل العقدية مما يتوجب على طلاب العلم.

أهداف البحث :

١-بيان المسائل العقدية المتعلقة بتوحيد الألوهية في التفسير (المعين على تدبر الكتاب المبين).

٢-توضيح موافقة أقوال مكي في توحيد الألوهية لمعتقد السلف.

أسئلة البحث :

١-ما المسائل العقدية المتعلقة بتوحيد الألوهية في تفسير (المعين على تدبر الكتاب المبين)؟ .

٢ - ما أوجه موافقة أقوال مكي في توحيد الألوهية لمعتقد السلف؟

حدود البحث :

تفسير (المعين على تدبر الكتاب المبين) لمؤلفه: مجد بن أحمد مكي، دار نور المكتبات، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، ط ١٤٢٧هـ.

مصطلحات البحث:

١-التفسير: "هو علمٌ يُبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية"[١].

٢-التفسير المختصر: والمراد به "بيان معاني القرآن الكريم بعبارةٍ وجيزةٍ، وألفاظٍ قليلةٍ"[٢].

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (٣/٢).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الدراسات السابقة :

لم أجد دراسةً مستقلةً تناولت هذا الموضوع، وما وجدته لا يتطابق مع عنوان وحدود البحث، وهو (التفاسير المختصرة - المذكورة- دراسةً عقديةً مقارنةً)، ومع ذلك فقد وقفتُ على دراسات قريبة يمكن الاستفادة منها في معالجة موضوع البحث، وقد تميزت هذه الدراسات بما يلي:

١-قدَّمت بعض الدراسات توضيحات مجملة، بيَّنت من خلالها اتجاهات بعض المفسرين المخالفين لأهل السنة والجماعة في تفاسيرهم.

٢-تناولت بعض الدراسات جوانب الاختصار في التفسير وشروطه ومناهجه.

٣-كما عقدت بعض الدراسات مقارنات علمية بين بعض التفاسير المختصرة موضوع الدراسة وغيرها، لكنها ليست على منهج أهل السنة والجماعة؛ إلا أنها لم تتناول على وجه التحديد تفسير مكي الذي سيتناوله البحث.

منهج البحث :

اتبعت المنهج الاستقرائي والاستنباطي.

إجراءات البحث :

١-عزو الآيات القرآنية، بذكر اسم السورة ورقم الآية، مع التزام الرسم العثماني.

٢-تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما، وإن كان في غيرهما من الكتب الستة أزيد على العزو ببيان درجة الحديث، بذكر أقوال أهل العلم المعتبرين في هذا الشأن، وإن لم يكن في الكتب الستة أتوسع في العزو، مع بيان درجة الحديث من خلال كلام أهل العلم المعتبرين.

٣-إيضاح الألفاظ الغامضة بالرجوع إلى القواميس المختصة.

٤-الاكتفاء بتاريخ الوفاة للأعلام عند أول ذكر له.

وقد جاء البحث مشتملا على مقدمة، وتمهيد وأربعة مطالب، وخاتمة.

المقدّمة**:** وتشمل مشكلة البحث، وأهمّية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، وأسئلته، وحدوده، ومصطلحاته، ومنهج البحث، وإجراءاته ، وخطته .

خطة البحث : يشتمل البحث علي :

التمهيد : التعريف بتفسير: (المعين على تدبر الكتاب المبين)، ومؤلفه: مجد بن أحمد مكي.

المطلب الأول: المراد بتوحيد الألوهية عند مكي.

المطلب الثاني: الأدلة على توحيد الألوهية.

---

(٢) التفاسير المختصرة اتجاهاتها ومناهجها، د. محمد بن راشد البركة، (٢٧).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

المطلب الثالث: توحيد الألوهية هو دعوة الأنبياء.
المطلب الرابع: الشرك في الألوهية.
الخاتمة: وفيها أهم النتائج .
المصادر والمراجع .

التمهيد: التعريف بتفسير (المعين على تدبر الكتاب المبين): ومؤلفه مجد بن أحمد مكي :

التعريف بالمؤلف :

مجد بن أحمد بن سعيد مكي، ولد في مدينة حلب في سوريا في شهر رمضان ١٣٧٦هـ، وأقام في مكة المكرمة منذ عام ١٤٠٠هـ، انتسب إلى كلية الشريعة بجامعة أم القرى، وتخرج فيها عام ١٤٠٤هـ.

حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين في جامعة أم القرى، قسم الكتاب والسنة، وكان موضوع رسالته :(أقوال الحافظ الذهبي النقدية في علوم الحديث من كتابه سير أعلام النبلاء) ونوقشت عام ١٤٠٩هـ. وحصل علي الدكتوراه في جامعة الملك محمد الخامس بالرباط في التفسير والحديث الشريف، في موضوع " الاجتهاد المعاصر في علوم القرآن والحديث" .

وقد تعرَّف في مكة المكرمة على جُلَّ علمائها، وعلى كثير من الوافدين إليها في مواسم الحج والعمرة، وفي مناسبات انعقاد المجامع الفقهية واجتماعات رابطة العالم الإسلامي. وحصل على إجازات علمية في الحديث ورواياته من عدد كبير من علماء الحديث والإسناد.

وللشيخ عدة مؤلفات منها: البيان في أركان الإيمان، والجمان في أصول الإيمان، وغيرها[٣].

منهجه في التفسير :

المقصود بالمنهج الطريقة والخصائص التي يتميز بها تفسير ما، أو الطريق الذي سلكه المفسر في تفسيره، فأصبح له قواعد وخصائص في تفسيره[٤].

ولم يكن هذا المصطلح "منهج المفسر" مما ينص عليه المتقدمون في تفاسيرهم، لكنه عُرف لديهم من حيث مفرداته وموضوعاته. ومن المعلوم أن مرتكزات ومقومات المنهج تقوم على أساسيات مشتركة، كاللغة والبلاغة والتفسير المأثور والرأي، وموقف المفسر من رواية الإسرائيليات والموضوعات، ومسائل الأحكام والاعتقاد،

(1)https://al-maktaba.org/book/31617/20650

[٤] ينظر: منهج البحث العلمي عند العرب، جلال محمد ، ص٣٣.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وعلوم القرآن من أسباب النزول وغيره[٥]. وهذا الأمر على عكس مؤلفات المتأخرين؛ فإنهم في الغالب ينصون على منهجهم.

وقد عرّف المؤلف بهذا الكتاب في مقدمته وذكر أنه كتبه بأسلوب عصري سهل ميسر واضح العبارة وجيز لا يخل ولا يمل؛ حتى يكون قريباً من القارئ، صالحاً لترجمته إلى اللغات الأجنبية ترجمة صحيحة دقيقة.

وبين الشيخ مجد بن أحمد مكي في مقدمة كتابه أهم القواعد التي التزم بها في هذا التفسير، وهي جملة من القواعد تعين على تدبر كلام الله سبحانه بطريقة مثلى، وصورة فضلى، ومن تلك القواعد التي اجتهدت في الالتزام بها، وإيرادها في هذا التفسير التدبري:

- الاستفادة مما صح من التفسير المأثور، والنظر فيما ورد من أقوال المفسرين المعتمدين، واعتماد ما هو راجح.
- النظر فيما ورد من أسباب النزول، مما صح سنده مع مراعاة قاعدة: "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"، ومراعاة دلالة السياق والقرائن التي تدل على تخصيص العام.
- اختيار المعنى المراد الذي يُلائم دلالة النص القرآني بوجه عام، وكما هي في كلام العرب في عصر نزول القرآن، وابتعد عن المعاني الاصطلاحية المتأخرة عن عصر التنزيل، مع النظر فيما قاله أهل التفسير في معنى الكلمة، للاهتداء إلى فهم المعنى المراد بتوفيق الله تعالى.
- حمل النص على كل المعاني إذا كانت الكلمات أو الجمل القرآنية تدل على أكثر من معنى، وعدم قصر النص على واحد منها دون غيره، تمشياً مع عطاء القرآن الثَّري، الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تنضب معانيه.
- استبعاد احتمال التكرير لمجرد التأكيد ما أمكن؛ لتكامل النصوص القرآنية، ولأن التأسيس في كل نص منها مقدم على التأكيد.
- ملاحظة قواعد اللغة العربية، وتوجيه الآيات التي يُخالف إعرابها مقتضى الظاهر من خلال التفسير.
- استجلاء الغرض الفكري من الوجوه البلاغية التي اشتملت عليها نصوص القرآن، مع الإيجاز الشديد والاقتصاد في العبارة، والتنبيه على أغراض الاختلاف في أسلوب التعبير القرآنية.
- محاولة فهم الآية القرآنية وفق ترتيب نظمها.

[٥] ينظر: أثر اتجاهات المفسرين في مناهجهم، مصطفى المشني ، ص١١.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

- بيان بعض ما يشتمل عليه النص القرآني من أوجه، وما يهدف إليه من أغراض تربوية وتعليمية.
- عُني بخواتم الآيات ومراميها وما تشتمل عليه من قضايا كلية ترتبط بما جاء قبلها بمضمون الآية.
- اعتنى بما جاء في الآيات القرآنية من قسم؛ بذكر المناسبة بين المُقْسَم به والمُقسم عليه، وبيان الغرض من القسم، والتنبيه على ما فيه من دلائل وعبر وأوضحت الحكمة من القسم المسبوق بحرف النفي (لا) الوارد في القرآن في سبع سور بصيغة : (لا أقسم) ...
- ملاحظة العمق القرآني، والتنبيه إلى كثير من المعاني العميقة والدلالات الدقيقة التي لم يرد في النص ألفاظ صريحة تدل عليها دلالة واضحة.
- النظر في توجيه الخطاب الرباني، فالنصوص المصدّرة بخطاب الناس ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ تشتمل على معنى يضم الناس جميعاً.

وغيرها من القواعد، ثم ذكر أهم الضوابط التي راعاها في كتابة هذا التفسير، فقال:
(كما راعيت أموراً أخرى سوى ما قدمته من قواعد منهجية التزمت بها، وهي أمور تحقق الهدف من إصدار هذا التفسير وتقريبه للقارئ، من أهمها ما يأتي:

١ - تفسير كل آية على حدة، وعدم إعادة ألفاظ النص القرآني في التفسير إلا نادراً.

٢ - الإشارة إلى رقم الآية في بداية تفسيرها.

٣- تجنبت ذكر القراءات ومسائل النحو والإعراب.

٤- التزمت رواية حفص عن عاصم وهي الرواية التي طبع التفسير في حاشيتها.

٥- حرصت على أن يكون التفسير بالقدر الذي تتسع له حاشية مصحف المدينة النبوية المنورة، ليشترك اللسان والعقل والقلب في تلاوة القرآن حق تلاوته. فحظ اللسان: تصحيح الحروف بالترتيل، وحظ العقل: تفسير المعاني، وحظ القلب: الاتّعاظ والتأثر، فاللسان يرتل، والعقل يترجم، والقلب يتّعظ.

٦- سهولة البحث وتسهيل الفهم والتدبر، فكونه في مجلد واحد يساعد في الوقوف على معنى الآية أثناء التلاوة دون البحث في عدة مجلدات، وكذلك سهولة حمله واقتنائه.

٧ - اخترت أن يكون أسلوب كتابتي لهذا التفسير صالحاً لجميع القراء على اختلاف مستوياتهم الثقافية وفق الأسلوب السهل الممتنع فالعالم المتخصص في التفسير والعلوم الشرعية يجد فيه معان جديدة يستفيدها، والمثقف الجامعي في العلوم المختلفة يجد فيه ما يحقق مقصده لفهم آيات كتاب الله المجيد، والمثقف المتوسط لا يجد فيه صعوبة، تجعله يسأم من متابعة قراءته؛ لسهولة فهم كثير من معانيه ودلالات عباراته[٦].

(٦) ينظر: مقدمة كتاب المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي ، ص ك .

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

مصادره :

ذكر مكي أهم مصادره في هذا التفسير، فقال: (ورجعت في تفسيري هذا إلى مصادر كثيرة أخرى سوى ما ذكرت على سبيل الاستئناس والاسترشاد، كالتسهيل لابن جُزي (ت: ٧٤١)، وتفسير النسفي (ت ٧١٠ ، وابن كثير (ت: ٧٧٤)، والجواهر الحسان في تفسير القرآن لعبد الرحمن الثعالبي (ت: ٨٧٦)، و"تفسير الجلالين": المحلي (ت: ٨٦٤)، والسيوطي (ت: ٩١١) ، والسراج المنير للخطيب الشربيني (ت: ٩٧٧).

ومن تفاسير المعاصرين: فذكر أهم مصادره، وهو تفسير شيخه عبدالرحمن حبنكة الميداني ت١٤٢٥ه رحمه الله تعالى "معارج التفكر ودقائق التدبر"، ومنها: "صفوة البيان" حسنين محمد مخلوف (ت: ١٤٠٢) رحمه الله تعالى، و"المنتخب في تفسير القرآن" الذي أصدره المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر، و "التفسير الميسر" الذي أصدره مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة، وتفسير محمد أبو زهرة (ت: ١٣٩٤) رحمه الله تعالى "زهرة التفاسير"، إلى غير ذلك من المصادر المتنوعة الكثيرة، والقراءات المتعددة المستمرة المتصلة بكتاب الله ﷻ[٧].

المطلب الأول: المراد بتوحيد الألوهية ومعنى (لا إله إلا الله) :

الألوهية: مشتقة من كلمة (إله) وأصله إلاهٌ على فعال بمعنى مفعول، كقولنا إمام بمعنى مؤتم به، فلما أدخلت عليه الألف واللام حذفت الهمزة تخفيفا لكثرته في الكلام، وهو في اللغة اسم مفعول المألوه، بمعنى المعبود المطاع، فيشمل كل من يعبد بحق وهو الله تعالى، أو عبد بباطل، وهو كل ما عبد من دون الله، ولكن الإله الحق يجب أن يكون خالقاً قادراً رازقاً مدبراً؛ فمن لم يكن كذلك فليس بإله، وإن عبد وسمي إلهاً. والإله هو الله سبحانه وتعالى وكل ما اتخذ من دونه معبودا إلهٌ عند متخذه، والآلِهَةُ الأصنام سموا بذلك لاعتقادهم أن العبادة تَحُقُّ لها.[٨]

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: "اسم الله دال على كونه مألوهاً معبوداً تألهه الخلائق محبة وتعظيماً وخضوعاً وفزعاً إليه في الحوائج والنوائب"[٩].

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: "الله: هو المألوه المعبود، ذو الألوهية، والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال"[١٠].

---

(٧) ينظر: المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي ، ص ك.

(٨) لسان العرب ، محمد ابن منظور ، (٤٦٧/١٣).

(٩) مدارج السالكين مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم الجوزية، (٣١/١) .

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

والمراد بتوحيد الألوهية: إفراد الله تعالى بالتأله أي التعبد وإخلاصها له تعالى من المحبة والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والدعاء لله وحده وينبني على ذلك إخلاص العبادات كلها ظاهرها وباطنها لله وحده لا شريك له لا يجعل فيها شيئا لغيره لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلا عن غيرهما؛ ولذا سمي توحيد العبادة، ومعناه الاعتقاد الجازم؛ بأن الله سبحانه وتعالى هو الإله الحق ولا إله غيره، وكل معبود سواه باطل، وأن لا يشرك به أحد كائنا من كان، ولا يصرف شيء من العبادة لغيره تعالى؛ كالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والدعاء، والاستعانة، وغيرها من أنواع العبادة الظاهرة والباطنة. وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره وباطنه وظاهره وهو اول دعوة الرسل وآخرها وهو معنى قول لا إله إلا الله فإن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة والخشية والاجلال والتعظيم وجميع انواع العبادة ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة وأرسلت الرسل وأنزلت الكتب وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار وسعداء اهل الجنة وأشقياء أهل النار[١١].

وقد اهتم مكي بتوحيد الألوهية والعبادة، وهو توحيد القصد والطلب، وركز عليه في تفسيره كثيرا مستنبطاً من الآيات ومقررا له، فعند قول الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يوضح مكي معنى الإله وأنه المعبود الحق. [١٢]

وبين أن المراد بتوحيد الألوهية عند تفسيره للشهادة بأنه استحقاق الألوهية والعبادة لله وحده، فقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٦٢] "وما من معبود يستحق العبادة إلا الله وحده، وإن الله لهو القوي الغالب المنتقم ممن عصاه وخالف أمره وادعى معه إلها آخر الحكيم في تدبيره"[١٣]

وقوله هذا صريح في الاعتقاد أن معنى الشهادة التأله والتعبد، فاستحقاق العبادة لا يكون إلا لله. ففسر الألوهية بالعبادة.

---

(١٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، ص ٩٤٥.

(١١) انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، ص٢٠، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن بن عبد الوهاب: ص ١٧، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ حكمي ، (١٢٧/١)، القول السديد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، ص١٦. دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية ، تقي الدين بن أحمد بن تيمية ، ٣٦٤/٢ .

(١٢) المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي ، ص١.

(١٣) المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي ، ص٥٨.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وقال عند قوله تعالى : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران : ١٨] "بين الله تعالى وأظهر أن لا معبود بحق إلا هو، بما يبين من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته، وأقر الملائكة وأهل العلم من الأنبياء والمؤمنين المتحققين بعلم ظواهر الحياة الدنيا وبواطنها ودلالاتها على الرب الخالق، وعظيم صفاته حال كونه قائما بتدبير خلقه بالعدل، لا معبود بحق إلا هو القوي الغالب الذي لا يقهر، الحكيم في جميع أفعاله"[١٤]
وقال في معنى قوله تعالى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ آية الكرسي "الله الذي لا يستحق الإلهية الا هو".[١٥]

فيفسر مكي الألوهية بمعنى إفراد الله بالعبادة، كما أنه جعل من لازم توحيده سبحانه بالعبادة نفيها عمن سواه، فقال مكي عند قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ "إياك نخص بغاية التذلل ونهاية التعظيم، ونوحدك ونطيعك، ومنك وحدك نطلب المعونة على عبادتك وعلى جميع أمورنا. وباجتماع هاتين الكلمتين ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بطل الشرك كله: شرك العبادة لغير الله، وشرك الاستعانة بما لم يأذن به الله، وبطلت العقائد المنحرفة كلها: بطلت عقيدة الجبر المحض، الذي ينكر قدرتنا ومسؤوليتنا، وبطلت عقيدة الاختيار المحض الذي يدعي الاستغناء عن معونة ربنا، فنحن نعبد ونستعين، ونعمل ونتوكل"[١٦]

فالله " سبحانه وتعالى المستحق للعبادة لا غيره، لا معبود بحق إلا هو تعالى وتنزه عن أن يكون له شريك في التشريع والاحكام وأن يكون له شريك في الإلهية يستحق التعظيم والإجلال"[١٧].

وهذا الذي قرره مكي هو ما ذهب إليه السلف. قال ابن عباس رضي الله عنه: "كل ما في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد".[١٨]

وقال الطبري رحمه الله في قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران : ٦٢] : "واعلم أنه ليس للخلق معبود يستوجب عليهم العبادة بملكه إياهم إلا معبودك الذي تعبده، وهو الله العزيز الحكيم. ويعني بقوله : ﴿الْعَزِيزُ﴾ العزيز في انتقامه ممن عصاه، وخالف أمره، وادعى معه إلها غيره، أو عبد ربا سواه".[١٩]

---

(١٤) ينظر : المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي ، ص٥٢.
(١٥) المرجع السابق ، ص٤٢.
(١٦) المرجع السابق ، ص١.
(١٧) المرجع السابق ، ص١٩١.
(١٨) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي: (٧١/١)
(١٩) المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي ، (٤٦٧/٤).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: "التوحيد هو معنى لا إله إلا الله، الذي مضمونه أن لا يعبد إلا الله لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، فضلاً عن غيرهما".[٢٠]

المطلب الثاني: الأدلة على توحيد الألوهية :

ومن أدلة تقرير توحيد الألوهية عند مكي:

١/ استدلاله بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية، قال مكي عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة :٢١] ، وهو أول أمر في القرآن الكريم: "يا أيها المكلفون جميعا: وحدوا ربكم ولا تشركوا في عبادته أحدا؛ لأنه ربكم الذي ابتدع خلقكم على غير مثال سابق وخلق الذين من قبلكم ويمدكم دواما بعطاءاته وبيده نفعكم وضركم رغبة ان تختاروا بإرادتكم الحرة عبادة الله التي فرضت عليكم فتتقون بذلك عقاب الله وتنجون من عذابه. الذي خلق لكم الأرض بساطا ووطاء مذللة صالحة للسكنى والسعي ... فلا تجعلوا لله أمثالا ونظراء تعبدونها كعبادته وأنتم تعلمون أن هذه الأصنام والأوثان لا يصح عبادتها وأنه سبحانه خالق لجميع الأشياء وأنه لا مثل له ولا ضد"[٢١]

يقول ابن كثير رحمه الله: " شَرَعَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي بَيَانِ وَحْدَانِيَّةِ أُلُوهِيَّتِهِ، بِأَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمُنْعِمُ عَلَى عَبيده، بِإِخْرَاجِهِمْ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ وَإِسْبَاغِهِ عَلَيْهِمُ النعمَ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ، وَمَضْمُونُهُ: أَنَّهُ الْخَالِقُ الرَّازِقُ مَالِكُ الدَّارِ، وَسَاكِنِيهَا، وَرَازِقُهُمْ، فَبِهَذَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ وَلَا يُشْرَك بِهِ غَيره" [٢٢] فدلت هذه الآية على توحيده تعالى بالعبادة وحده لا شريك له.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: "أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا، وهو خلقك"[٢٣]

---

(٢٠) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، ص٢٦.

(٢١) المرجع السابق ، ص٤.

(٢٢) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير: (١٩٤/١).

(٢٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٨/ ١٣]، كتاب التفسير: باب قوله تعالى: {فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً} [البقرة: ٢٢] حديث [٤٤٧٧]، وفي [٨/ ٣٥٠- ٣٥١]، كتاب التفسير: باب {وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ} [الفرقان: ٦٨]، حديث [٤٧٦١]، وفي [١٠/ ٤٤٨]، كتاب الأدب: باب قتل الولد خشية أن يأكل معه، حديث [٦٠٠١]، وفي [١٢/ ١١٦]، كتاب الحدود: باب إثم الزناة، حديث [٦٨١١]، وفي [١٢/ ١٩٤]، كتاب الديات: باب قوله تعالى: {مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً} [النساء: ٩٣]، حديث [٦٨٦١]، وفي [١٣/ ٤٩٩- ٥٠٠]، كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: {فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً} [البقرة: ٢٢]، حديث [٧٥٢٠]، وفي [١٣/ ٥١٢]، حديث [٧٥٣٢]، الجامع الصحيح : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

فيظهر هنا الاحتجاج بتوحيد الربوبية على تقرير توحيد الألوهية وجعل الربوبية دليلا على توحيد الألوهية، قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨) هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة : ٢٨ - ٢٩] قال مكي: "كيف تنكرون أيها المشركون وحدانية الله تعالى وتشركون به غيره في العبادة" [٢٤]، فقدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة والبعث والنشور دليل على استحقاقه للعبادة وحده لا شريك له، فكفركم مع ظهور هذه الأدلة الداعية إلى الإيمان أمر مستغرب يُتعجب منه، كيف تكفرون بالله؟ وقد خلق لكم ما في السموات و ما في الأرض جميعاً منه وهو سبحانه بكل شيء عليم. [٢٥]

وقال: "ذلكم العظيم الجليل هو الله الذي خلق السموات والأرض هو ربكم الذي يستحق العبادة لا من تدعون من دونه من الاصنام لا معبود بحق الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وأطيعوه وهو على كل شيء رقيب وحفيظ يدبر أمور خلقه" [٢٦].

كما استدل مكي بالآيات الكونية على وجوب إفراد الله بالعبادة والأمر بإخلاص التوحيد له وحده لا شريك له حيث قال عند تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الأنعام: ٩٥] "إن الذي يستحق العبادة دون غيره هو الله الذي ينبهكم على هذه الآيات الكونية -وبعد تفصيله في هذه الآيات لكونية قال- وجعل هؤلاء المشركين بعد أن منَّ الله عليهم بالإيجاد وبما يحتاجون إليه في المعاش الجن شركاء لله تعالى في العبادة وأطاعوهم فيما أمروهم به من عبادة الأصنام وقد خلقهم الله تعالى وما يعبدون من العدم، فهو المستقل بالخلق وحده؛ فيجب أن يستقل بالعبادة وحده لا شريك له " [٢٧]

ومن الاستدلال بالآيات الكونية على توحيد الألوهية: قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم : ١٠]، ففي هذه الآية يخبر الله سبحانه عن المجادلة الدائرة بين الكفار ورسلهم، وَذَلِكَ أَنَّ أُمَمَهُمْ لَمَّا وَاجَهُوهُمْ بِالشَّكِّ فِيمَا جَاءُوهُمْ بِهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَتِ الرُّسُلُ: أَفِي اللَّهِ شَكٌّ؟

البخاري، أبو عبد الله، الناشر : دار الشعب – القاهرة، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٧ه – ١٩٨٧م ، أخرجه مسلم في صحيحه [١/ ٩٠- ٩١]، كتاب الإيمان: باب كون الشرك أقبح الذنوب، حديث [١٤١/ ٨٦]، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الناشر : دار الجيل بيروت ودار الأفاق الجديدة - بيروت.

[٢٤] ينظر : المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي ، ص٥.

[٢٥] المصدر السابق ، ص ٥.

[٢٦] المصدر السابق ، ص١٤١.

[٢٧] ينظر : المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي ، ص ١٤٠.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

والمعنى: أَفِي اللَّهِ شَكٌّ أَيْ أَفِي إِلَهِيَّتِهِ وَتَفَرُّدِهِ بِوُجُوبِ الْعِبَادَةِ لَهُ شَكٌّ، وَهُوَ الْخَالِقُ لِجَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ، وَلَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. (٢٨)

ومن أدلة تقرير توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية سَوق الأدلة على وحدانية الله بصيغة الاستفهام الإنكاري على المشركين في عبادتهم مع الله آلهة أخرى، ففي آيات سورة النمل عند قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ، أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ.... ﴾ إلى نهاية الآيات ٥٩-٦٠-٦١-٦٢-٦٣-٦٤

ثم قوله تعالى بعد كل دليل : ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ ، والمعنى أمعبود مع الله يفعل شيئاً من ذلك فتدعونه من دونه؟ تسامى وترفّع الله الرب الخالق لكل شيء عن أن يكافئه في ألوهيته أحد. (٢٩)

فالاستدلال بتوحيد الربوبية على كونه سبحانه إلها كثير وواضح، فالله الخالق الرازق المالك المدبر الحي سبحانه وتعالى هو المنفرد في الإلهية وهو المستحق أن يعبد وحده لا شريك له. (٣٠)

يقول مكي عند تفسير قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر : ٣] "يا أيها الناس اذكروا بألسنتكم وقلوبكم وجوارحكم نعمة الله عليكم، واحفظوها بمعرفة حقها والإقرار بها، وطاعة موليها وتخصيصه بالعبادة، لا خالق إلا الله يرزقكم المطر من السماء، والنبات من الأرض، لا معبود بحق إلا الرب الخالق الرازق، تعالى وتنزه عن أي شريك له في ربوبيته وإلهيته" (٣١)

٢/ الاستدلال بكمال الله في ذاته وصفاته على توحيد الألوهية، فكونه سبحانه وتعالى متفرد بالأسماء الحسنى والصفات العلى يدل على أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له، ومن ذلك تفسير مكي لقول الله تعالى : ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة : ١٦٣] "والهكم أيها الناس الذي يستحق العبادة اله واحد في ذاته واسمائه وصفاته وافعاله، لا معبود بحق إلا هو العظيم الرحمة الذي تعم رحمته الوجود كله في السموات والأرض والدنيا

---

(٢٨) ينظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير: (٤١٤/٤)، و المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي: ص ٢٥٦

(٢٩) ينظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير: (١٨١/٦-١٨٦)، و المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي: ص ٣٨٢-٣٨٣

(٣٠) ينظر: المصدر السابق ، ص ٢١٢، ٢٦٩، ٣٣٠، ٣٥٩، ٣٨٢، ٣٨٣، ٤٠٨، ٤٩٩ ، ٥٢٣.

(٣١) ينظر : المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي ، ص ٤٣٤ .

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

والاخرة وهو دائم الرحمة بعباده يغفر لهم ويتوب عليهم ويشرع لهم من الشرائع ما يكون خيرا لهم في معاشهم ومعادهم".[٣٢]

فالله الذي لا يستحق الإلهية إلا هو ذو الحياة الكاملة، والبقاء الأبدي، الدائم بلا زوال، القائم بتدبير خلقه المنزه عن النقائص، والمتعالي عن الأشباه والأنداد والأمثال، ذو العظمة والكبرياء الذي لا شيء أعظم منه سبحانه. [٣٣]

وقال مكي في تقرير ألوهية الله بدلالة كمال صفاته اول سورة آل عمران "هو الله الذي لا يستحق العبادة سواه؛ لأنه الواحد الاحد ليس معه إله، ولا له ولد، الحي الدائم الباقي الذي له الحياة الدائمة التي لا فناء لها لم تحدث له الحياة بعد موت، ولا يعتريه الموت بعد الحياة، القائم بذاته والدائم القيام بتدبير الخلق ومصالحهم فيما يحتاجون إليه في معاشهم ومعادهم"[٣٤]

وهذا الدليل برهان عظيم على وجوب توحيد الله وإفراده بالعبادة وحده لا شريك له، فذكر " النصوص الدالة على كبرياء الرب وعظمته التي تتضاءل وتضمحل عندها عظمة المخلوقات العظيمة، وتخضع له الملائكة والعالم العلوي والسفلي، ولا تثبت أفئدتهم عندما يسمعون كلامه، أو تتبدى لهم بعض عظمته ومجده، فالمخلوقات بأسرها خاضعة لجلاله، معترفة بعظمته ومجده خاضعة له خائفة منه، فمن كان هذا شأنه فهو الرب الذي لا يستحق العبادة والحمد والثناء والشكر والتعظيم والتأله إلا هو، ومن سواه ليس له من هذا الحق شيء، فكما أن الكمال المطلق والكبرياء والعظمة ونعوت الجلال والجمال المطلق كلها لله لا يمكن أن يتصف بها غيره، فكذلك العبودية الظاهرة والباطنة كلها حقه تعالى الخاص الذي لا يشاركه فيه مشارك بوجه" [٣٥].

وفي المقابل استدل مكي على توحيد الألوهية بعجز ونقص ما سوى الله من الآلهة؛ وما كان كذلك فلا يصلح أن يعبد من دون الله، فقال عند قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [المائدة : ٧٦] "قل -يا رسول الله ويا كل داع الى الله من أمته- لهؤلاء النصارى: أتعبدون من دون الله من لا يستطيع أن يضركم ولا يقدر أن ينفعكم؟ فإن الضار والنافع هو الله تعالى لا من تعبدون من دونه، والله تعالى هو وحده السميع لأقوالكم، العليم بما في ضمائركم، فكيف تتركون عبادة الله وحده وهو السميع لأقوال عباده، العالم بكل شيء الذي لا يغيب عن علمه

---

(٣٢) المرجع السابق ، ص٢٤.
(٣٣) المرجع السابق ، ص٤٢
(٣٤) المرجع السابق ، ص٥٠.
(٣٥) القول السديد شرح كتاب التوحيد: عبدالرحمن السعدي: ص٦٨،٦٩.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

شيء في الأرض ولا في السماء إلى عبادة ما لا يسمع ولا يعلم ولا ينفع ولا يضر؟! [٣٦]

فكون الآلهة عاجزة وناقصة وليس لها صفات الكمال يدل على أن عبادتها باطلة، فهل يشرك في عبادة الله ما لا يخلق شيئاً، وهم يُخلقون خلقاً من بعد خلق، ولا يقدرون على نصر من أطاعهم وعبدهم، ولا يقدرون على أن يدفعوا عن أنفسهم مكروهاً، فإذا كانت لا تخلق شيئاً بل هي مخلوقة، ولا تستطيع أن تدفع الضر والمكروه عن نفسها ولا عمن عبدها، فهي عاجزة في كل حال، فكيف تتخذ مع الله آلهة؟ [٣٧]

٣/ الاستدلال بأمر الله تعالى لنبيه ﷺ بالإخلاص له وحده لا شريك له والإقبال عليه في التكاليف والأوامر الشرعية، يقول مكي عند تفسير قول الله تعالى: (وأمرنا لنسلم لرب العالمين) ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام : ٧١] "قل يا رسول الله ويا كل داع إلى سبيل ربه من أمته: أمرنا جميعاً بالتكاليف والشرائع الدينية؛ لأجل أن نسلم ونخلص العبادة لرب العالمين المهيمن علينا وعلى جميع العالمين بصفات ربوبيته الشاملة للعطاء والمنع والضر والنفع وبهذا الإسلام نحقق عبوديتنا لخالقنا ومالكنا وممدنا دواما بعطاءاته. وبعد أن أعلنا لكم ما اخترناه لنفوسنا، ندعوكم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة لرب العالمين "[٣٨].

وقال عند قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام : ١٦٢] "قل يا رسول الله: إن صلاتي، وعبادتي وتقربي إلى الله سبحانه، وحياتي وموتي، كلها خاصة لوجه الله عز وجل، الخالق لكل الموجودات الكونية، والممد لها دوماً بعطاءات ربوبيته، فهو المستحق أن يعبد وحده لا شريك له في ربوبيته وفي إلهيته، وبهذا التوحيد أمرت". [٣٩]

يقول ابن كثير رحمه الله: " يَأْمُرُهُ تَعَالَى أَنْ يُخْبِرَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ وَيَذْبَحُونَ لِغَيْرِ اسْمِهِ، أَنَّهُ مُخَالِفٌ لَهُمْ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ صَلَاتَهُ لِلَّهِ وَنُسُكَهُ عَلَى اسْمِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَيَذْبَحُونَ لَهَا، فَأَمَرَهُ اللَّهُ تعالى بِمُخَالَفَتِهِمْ وَالِانْحِرَافِ عَمَّا هُمْ فِيهِ، وَالْإِقْبَالِ بِالْقَصْدِ وَالنِّيَّةِ وَالْعَزْمِ عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى" [٤٠]

([٣٦]) المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي ، ص١٢٠. وانظر: ص١٧٦.
([٣٧]) المرجع السابق ، ص ١٧٥.
([٣٨]) المرجع السابق ، ص١٣٦.
([٣٩]) ينظر : المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي ، ص١٥٠.
([٤٠]) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير ، (٣٨٢/٣،٣٨١)

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

ويؤكد مكي على هذا المعنى عند تفسيره آيات سورة الزمر في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (١٢) ﴾ [الزمر : ١١-١٢] حيث يقول: قل يا رسول الله ﷺ معلناً للناس جميعاً أني أمرت أن أعبد الله وحده لا شريك له مخلصاً له الطاعة والانقياد، جاعلاً كل أعمالي خالصة لله صافية منقّاة من الشرك والرياء، وقل لهم: أمرت بأوامر وتكاليف شرعية زائدة عليكم لأكون أول المسلمين، ثم قال تعالى آمرًا لنبيه محمد ﷺ أن يقول لقومه : ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي﴾ [الزمر : ١٤] ، إني أعبد الله وحده ولا أعبد أحداً غيره، مخلصاً له الدين من كل شوائب الشرك والرياء، مُفْرِدًا لَهُ طَاعَتِي وَعِبَادَتِي، لَا أَجْعَلُ لَهُ فِي ذَلِكَ شَرِيكًا، وَلَكِنِّي أُفْرِدُهُ بِالْأُلُوهَةِ، وَأَبْرَأُ مِمَّا سِوَاهُ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ. (٤١)

يقول الطبري رحمه الله: "يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَعْبُدَهُ مُفْرِدًا لَهُ الطَّاعَةَ، دُونَ كُلِّ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ، وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَنِي رَبِّي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ، لِأَنْ أَكُونَ بِفِعْلِ ذَلِكَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْكُمْ، فَخَضَعَ لَهُ بِالتَّوْحِيدِ، وَأَخْلَصَ لَهُ الْعِبَادَةَ، وَبَرِئَ مِنْ كُلِّ مَا دُونَهُ مِنَ الْآلِهَةِ"(٤٢)

٤/ الاستدلال على توحيد الألوهية بالآيات التي أرشد الله نبيه ﷺ في الرد على المشركين لدعوتهم له عليه السلام إلى عبادة غير الله، قال مكي عند تفسير قوله تعالى : ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام : ١٤] "قل لهم يا رسول الله أغير الله أتخذ ناصرا ومعينا استنصره واستعين به على النوائب وهو مبدع السموات والأرض على غير مثال سابق ... إني امرت بأن أكون أول من استسلم لأمر الله وانقاد إلى طاعته من هذه الأمة، وقيل لي: لا تكونن يا رسول الله من المشركين.

قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين الذين دعوك الى عبادة غيري: إني أخاف إن عصيت ربي فخالفت أمره وأشركت معه غيره في عبادته، أن ينزل بي عذاب عظيم يوم القيامة"(٤٣)

"قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين: لا أشهد بما تشهدون به. قل لهم: ما المعبود الحق إلا إله واحد لا شريك له وبذلك أشهد، وأؤكد لكم بصراحة وقوة أنني بريء من كل شيء تعبدونه سوى الله"(٤٤)

---

(٤١) المصدر السابق ، (٧٩/٧)، جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري: (١٨٠/٢٠)، والمعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي: ٤٦٠

(٤٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري: (١٨٠/٢٠)

(٤٣) انظر : المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي ، ص١٢٩.

(٤٤) المصدر السابق ، ص١٣٠.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ﴾ [الأنعام : ٥٧] "قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين إني نهيت من أن أعبد الاصنام التي تعبدونها انتم من دون الله ... فإني إن عبدت ما تعبدون من دون الله، واتبعت أهوائكم أكون قد ضللت إذن، وما أنا من المهتدين"[٤٥].

وعند قوله تعالى : ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنعام : ٧١] قال: "قل أيها الداعي الى الله للمشركين الذين توجهوا لدعوتكم الى عبادة آلهتهم أنعبد الاصنام التي لا تنفع من عبدها- ولا تضر من ترك عبادتها، ونرجع منقلبين على اعقابنا!"[٤٦].

قال الطبري: " وهذا تنبيه من الله تعالى ذكره نبيه ﷺ على حجته على مشركي قومه من عبدة الأوثان. يقول له تعالى ذكره: قل، يا محمد، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثانَ والأنداد، والآمرين لك باتباع دينهم وعبادة الأصنام معهم: أندعو من دون الله حجرًا أو خشبًا لا يقدر على نفعنا أو ضرنا، فنخصه بالعبادة دون الله، وندع عبادة الذي بيده الضر والنفع والحياة والموت، إن كنتم تعقلون فتميزون بين الخير والشر؟ فلا شك أنكم تعلمون أن خدمة ما يرتجى نفعه ويرهب ضره، أحق وأولى من خدمة من لا يرجى نفعه ولا يخشى ضره!" [٤٧]

ويقرر مكي هذ المعنى بوضوح عند تفسير سورة الكافرون،﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)﴾: قل يا رسول الله بكل حزم وإصرار للمشركين الذين عرضوا عليك المفاوضات للتوفيق بين الإيمان والكفر لا أعبد الذين تعبدون من دون الله من الأوثان والآلهة الباطلة، ولا أنتم عابدون الذي أعبد وهو الله وحده المستحق للعبادة، فلكم كفركم الذي أصررتم عليه، ولي إخلاصي وتوحيدي، ولهذا اختصت هذه السورة بتوحيد الألوهية وهو توحيد العبادة والعمل لما فيها من إخلاص الدين لله والبراءة من الشرك. [٤٨]

ومن ذلك ما كان من الأنبياء مع أقوامهم [٤٩] كقول إبراهيم عليه السلام لأبيه في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٧٤) وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ

([٤٥]) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير ، ص١٣٤.
([٤٦]) المصدر السابق ، ص١٣٦.
([٤٧]) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري: (٤٥٠/١١)
([٤٨]) ينظر: بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية: (١٣٤/١)، والمعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي: ص ٦٠٣، ومنهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية: (٢٩٠/٣)
([٤٩]) ينظر: المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي: ص ١٥٨،١٥٩، ١٦١،

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الْأَفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩)﴾ [الْأَنْعَامِ: ٧٤-٧٩]، : "أتصنع بيديك أصناما متخذا إياها آلهة تعبدها من دون الله الذي خلقك ورزقك؟ وهي لا تضر ولا تنفع، ولا تستحق الإلهية، بل هي مما تصنعون بأيديكم!"[٥٠].

وهذا الفهم الذي فهمناه إبراهيم بشأن بطلان الآلهة فكنا نريه بتتابع متجدد ملكنا العظيم في السموات والأرض، ليكون ذا حجج برهانية يثبت بها أنه لا ربوبية في الكون إلا لله، ولا ألوهية بحق إلا له سبحانه، ليكون هو في ذاته من الراسخين في التوحيد والإيمان، فقال عليه السلام على سبيل الاعتقاد الجازم: إني جعلت وجهي وصرفت عبادتي، وقصرت توحيدي للذي خلق السموات والأرض، مائلاً عن عبادة كل شيء سوى الله، وما أنا من المشركين بالله شيئاً من خلقه. [٥١]

يقول الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله: "وَهَذَا فِي مَقَامِ مناظرته -عليه الصلاة والسلام- لِعُبَّادِ الْكَوَاكِبِ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِدْرَاجِ أَوِ التَّوْبِيخِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ سَخَافَتَهُمْ وَجَهْلَهُمْ وَضَعْفَ عُقُولِهِمْ فِي عِبَادَتِهِمْ هَذِهِ الْكَوَاكِبَ الْمَخْلُوقَةَ لِحِكْمَةِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- الْمُسَخَّرَةَ بِقُدْرَتِهِ وَغَفْلَتَهُمْ عَنْ خَالِقِهَا وَمُسَخِّرِهَا وَالْمُتَصَرِّفِ فِيهَا وَتَرْكَهُمْ عِبَادَتَهُ أَوْ إِشْرَاكَهُمْ مَعَهُ فِيهَا غَيْرَهُ عَزَّ وَجَلَّ " [٥٢]

فكانت حجة الأنبياء على أقوامهم إذا تبين لكم أن الآلهة لَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى جَلْبِ خَيْرٍ وَلَا دَفْعِ شَرٍّ وَلَا تُغْنِي من عبدها شَيْئًا فهذا دليل على أَنَّ عِبَادَتها من دون الله جهْلٌ وَضَلَالٌ. [٥٣]

ومن الاستدلال على توحيد الألوهية إقامة الحجة على أهل الكتاب والمشركين، قال مكي عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (٦٣) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٦٣-٦٤]. "فإن تولوا منصرفين عن الايمان ولم

([٥٠]) المرجع السابق ، ص١٣٧.

([٥١]) ينظر : المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي ، ، ص١٣٧، ٣٢٦، ٣٧٠، ٤٤٩

([٥٢]) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ الحكمي: (٤٠٤/٢)

([٥٣]) ينظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير: (٣/ ٢٥٨-٢٦٢)، (٣/ ٣٨٧-٣٨٩، ٣٩٣،٤٠١)= (٢٠٨/٥)، (٣٠٥/٥)، (١٣١/٦)، (٧/ ٢٠)، جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري: (٤٦٥/١١-٤٩٢) (١٢/ ٤٩٨-٥٠٣-٥٢٤-٥٥٤) (١٨/ ٢٠٢،٢٠٣،٢٠٤) (١٨/ ٤٥٦،٤٥٥،٤٥٤) (١٩/ ٣٦١، ٣٦٢) (٢١/ ٦٣،٦٢،٦١) ، و معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ الحكمي: (٤٠٤/٢، ٤٠٥، ٤٠٦)

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

يقبلوه فهم المفسدون الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس الى عبادة غيره، والله عليم بهم لا يتركهم يعيثون في الأرض فسادا بل سيعاقبهم ويجازيهم على فسادهم.
قل يا رسول الله لأهل الكتاب عامة من اليهود والنصارى ... هلموا الى كلمة فيها إنصاف وعدل نلتقي فيها معكم، مستوية بيننا وبينكم، لا يختلف فيها التوراة والإنجيل والقرآن، وهي أن نخص الله وحده بالعبادة، ولا نتخذ أي شريك معه في ربوبيته ولا في إلهيته، ولا نطيع أحبارنا ورهباننا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل، فإن تولوا مدبرين عما أمرتهم به؛ فقولوا -أيها المؤمنون- لهؤلاء: اشهدوا بأنا مخلصون بالتوحيد لله والعبادة له".[٥٤]

وفي مناظرة إبراهيم عليه السلام لقومه قال مكي: "وجادله قومه في توحيد الله فقال إبراهيم عليه السلام: اتجادلونني في الله الذي تؤمنون أنتم به ولكنكم تشركون به ما لم ينزل به حجة ملزمة وقد هداني بالدليل البرهاني إلى أنه لا شريك له في ربوبيته ولا في إلهيته "[٥٥].

فكون هذه الآلهة والمعبودات من دون الله لا تنفع ولا تضر ولا تعطي ولا تمنع ولا تملك شيئاً حجة توجب إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، والإعراض عمن سواه.

٦/ الاستدلال على توحيد الألوهية بإخلاص المشركين لله في الشدائد، قال مكي عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنعام : ٤٠] "قل يا رسول الله لهؤلاء الكفار أرأيتم أنفسكم إن أتاكم عذا اب الله قبل الموت مثل ما نزل بالأمم الماضية الكافرة او اتتكم مقدمات ساعة موتكم اغير الله تدعون في كشف العذاب عنكم إن كنتم صادقين في ان الاصنام تنفعكم وتكشف عنكم ضركم؟ فإن قالوا: ندعوا ألهتنا. فقل لهم: لا تكذبوا، بل تدعون الله، ولا تدعون غيره في كشف ما نزل بكم؛ لأنكم تعلمون أن آلهتكم لا تغنيكم ولا تنجيكم بل الله هو وحده الذي يغنيكم وينجيكم، فيزيل ما تدعونه إلى كشفه عنكم ان شاء سبحانه، وتتركون دعاء الاصنام التي تعبدونها لعلمكم بأنها لا تضر ولا تنفع".[٥٦]

يقول الطبري رحمه الله: "قل، يا محمد، لهؤلاء العادلين بالله الأوثانَ والأصنامَ: أخبروني، إن جاءكم، أيها القوم، عذاب الله، كالذي جاء من قبلكم من الأمم الذين هلك بعضهم بالرجفة، وبعضهم بالصاعقة أو جاءتكم الساعة التي تنشرون فيها من قبوركم، وتبعثون لموقف القيامة، أغير الله هناك تدعون لكشف ما نزل بكم من

---

(٥٤) ينظر : المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي ، ص٥٨.
(٥٥) ينظر : المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي ، ص١٣٧.
(٥٦) المرجع السابق ، ص١٣٢.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

البلاء، أو إلى غيره من آلهتكم تفزعون لينجيكم مما نزل بكم من عظيم البلاء؟ "إن كنتم صادقين"، يقول: إن كنتم محقّين في دعواكم وزعمكم أنّ آلهتكم التي تدعونها من دون الله تنفع أو تضر. ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام : ٤١] يقول تعالى ذكره، مكذِّبًا لهؤلاء العادلين به الأوثان: ما أنتم، أيها المشركون بالله الآلهةَ والأندادَ، إن أتاكم عذابُ الله أو أتتكم الساعة، بمستجيرين بشيء غير الله في حال شدة الهول النازل بكم من آلهة ووثن وصنم، بل تدعون هناك ربّكم الذي خلقكم، وبه تستغيثون، وإليه تفزعون، دون كل شيء غيره" (٥٧)

وغيرها من الآيات الدالة على أن المشركين يخلصون لله الدعاء عند نزول الضر ويتركون دعاء آلهتهم، فيذكرونه وحده لا شريك له ولا يذكرون سواه؛ لأنه القادر على إعانتهم ونجاتهم. (٥٨)

وعند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم : ٣٣] يقول مكي: "دعوا ربهم مقبلين إليه بقلوبهم ونفوسهم، راجعين بالتوبة وإخلاص العمل، ثم بعد مدة إذا أذاقهم نعماً هي آثار رحمة منه إذا فريق منهم يعودون إلى الشرك"(٥٩)

ويقول الطبري رحمه الله: "وإذا مسّ هؤلاء المشركين الذين يجعلون مع الله إلها آخر ضرّ، فأصابتهم شدة وجدوب وقحوط ﴿دَعَوْا رَبَّهُمْ﴾ أخلصوا لربهم التوحيد، وأفردوه بالدعاء والتضرّع إليه، واستغاثوا به (مُنِيبِينَ إِلَيْهِ) تائبين إليه من شركهم وكفرهم ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً﴾ ثم إذا كشف ربهم تعالى ذكره عنهم ذلك الضرّ، وفرّجه عنهم، وأصابهم برخاء وخصب وسعة، ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ إذا جماعة منهم ﴿بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ يعبدون معه الآلهة والأوثان" (٦٠)

فالابتهال إلى الله بالدعاء حال الشدة والاضطرار وترك كل ما عداه دليل على أن الله وحده المستحق للعبادة لا شريك له. (٦١)

٧/ ومن الأدلة العقلية التي استدل بها مكي على توحيد الألوهية دليل التمانع في قوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون : ٩١] ، يقول: "ما اتخذ الله من ولد كما يزعم الذين كفروا، وما

---

(٥٧) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري: (٣٥٣/١١، ٣٥٤)
(٥٨) ينظر: المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي، ص٢٨٩، ٤٠٤ .
(٥٩) المرجع السابق ، ص ٤٠٨ .
(٦٠) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري: (١٠١/٢٠)
(٦١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير: (٢٨٥/٦)، و المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي: ص ٤١٤

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

كان معه من معبود بحق، ولا يكون أبدا؛ فلو كان معه إله ما، له حق العبادة من دون الله لكان له مشاركة لله في ربوبيته في الكون، ولو كانت لأحد من هذه الآلهة المزعومة مشاركة لله في ربوبيَّته، إذاً لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه، ولم يرض أن يضاف خلقه وإنعامه إلى غيره، ومنع كل إله الآخر عن الاستيلاء على ما خلقه هو، ولطلب بعضهم مغالبة بعض، فيختل نظام الكون، لكنَّ شيئا من ذلك لم يحدث، بل الكون كله خاضع لنظام واحد، وسلطان واحد، فلا رب إلا الله، ولا سلطان إلا لله، تنزه الله عما يصف المشركون من إثبات الولد والشريك" [٦٢].

يَقُول الطبري رحمه الله: " مَا لِلَّهِ مِنْ وَلَدٍ، وَلَا كَانَ مَعَهُ فِي الْقَدِيمِ، وَلَا حِينَ ابْتَدَعَ الْأَشْيَاءَ مَنْ تَصْلُحُ عِبَادَتُهُ، وَلَوْ كَانَ مَعَهُ فِي الْقَدِيمِ، أَوْ عِنْدَ خَلْقِهِ الْأَشْيَاءَ مِنْ تَصْلُحُ عِبَادَتُهُ، إِذًا لَاعْتَزَلَ كُلُّ إِلَهٍ ﴿مِنْهُمْ بِمَا خَلَقَ ﴾مِنْ شَيْءٍ، فَانْفَرَدَ بِهِ، وَلَتَغَالَبُوا، فَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَغَلَبَ الْقَوِيُّ مِنْهُمُ الضَّعِيفَ؛ لِأَنَّ الْقَوِيَّ لَا يَرْضَى أَنْ يَعْلُوَهُ ضَعِيفٌ، وَالضَّعِيفَ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا، فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَبْلَغَهَا مِنْ حُجَّةٍ وَأَوْجَزَهَا لِمَنْ عَقِلَ وَتَدَبَّرَ، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ تَنْزِيهًا لِلَّهِ عَمَّا يَصِفُهُ بِهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَنَّ لَهُ وَلَدًا، وَعَمَّا قَالُوهُ مِنْ أَنَّ لَهُ شَرِيكًا، أَوْ أَنَّ مَعَهُ فِي الْقِدَمِ إِلَهًا يُعْبَدُ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى" [٦٣]

ويقول السعدي رحمه الله مفسرا لهذه الآيات ومثبتاً دلالة التمانع على ألوهية الله تبارك وتعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون : ٩١-٩٣] ، "يقول تعالى: بل أتينا هؤلاء المكذبين بالحق، المتضمن للصدق في الأخبار، العدل في الأمر والنهي، فما بالهم لا يعترفون به، وهو أحق أن يتبع؟ وليس عندهم ما يعوضهم عنه، إلا الكذب والظلم، ولهذا قال: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ كذب يعرف بخبر الله، وخبر رسله، ويعرف بالعقل الصحيح، ولهذا نبه تعالى على الدليل العقلي، على امتناع إلهين فقال: ﴿إِذًا﴾ أي: لو كان معه آلهة كما يقولون : ﴿لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ أي: لانفرد كل واحد من الإلهين بمخلوقاته، واستقل بها، ولحرص على ممانعة الآخر ومغالبته، ﴿وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ فالغالب يكون هو الإله، وإلا فمع التمانع لا يمكن وجود العالم، ولا يتصور أن ينتظم هذا الانتظام المدهش للعقول، واعتبر ذلك بالشمس والقمر،

([٦٢]) المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي ، ص٣٤٨.
([٦٣]) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري: (١٠١/١٧) .
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي: ٥٥٨ .

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

والكواكب الثابتة، والسيارة، فإنها منذ خلقت، وهي تجري على نظام واحد، وترتيب واحد، كلها مسخرة بالقدرة، مدبرة بالحكمة لمصالح الخلق كلهم، ليست مقصورة على مصلحة أحد دون أحد، ولن ترى فيها خللا ولا تناقضا، ولا معارضة في أدنى تصرف، فهل يتصور أن يكون ذلك، تقدير إلهين ربين؟ "

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ قد نطقت بلسان حالها، وأفهمت ببديع أشكالها، أن المدبر لها إله واحد كامل الأسماء والصفات، قد افتقرت إليه جميع المخلوقات، في ربوبيته لها، وفي إلهيته لها، فكما لا وجود لها ولا دوام إلا بربوبيته، كذلك، لا صلاح لها ولا قوام إلا بعبادته وإفراده بالطاعة، ولهذا نبه على عظمة صفاته بأنموذج من ذلك، وهو علمه المحيط، فقال: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾} أي: الذي غاب عن أبصارنا وعلمنا، من الواجبات والمستحيلات والممكنات، ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾} وهو ما نشاهد من ذلك ﴿فَتَعَالَى﴾} أي: ارتفع وعظم، ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾} به، من لا علم عنده، إلا ما علمه الله" (٦٤)

وقال ابن القيم رحمه الله معلقاً على هذه الآية: "فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز البين فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقا فاعلا يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضر فلو كان معه سبحانه إله لكان له خلق وفعل وحينئذ فلا يرضى بشركة الإله الآخر معه بل إن قدر على قهره وتفرده بالإلهية دونه فعل وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب به كما ينفرد ملوك الدنيا عن بعضهم بعضا بممالكهم.

إذا لم يقدر المنفرد على قهر الآخر والعلو عليه فلا بد من أحد أمور ثلاثة:

إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه.

وإما أن يعلو بعضهم على بعض.

وإما أن يكون كلهم تحت قهر إله واحد وملك واحد يتصرف فيهم ولا يتصرفون فيه ويمتنع من حكمهم عليه ولا يمتنعون من حكمه عليهم فيكون وحده هو الإله الحق وهم العبيد المربوبون المقهورون." (٦٥)

وقال تعالى: ﴿قُل لَّو كَانَ مَعَهُۥ ءَالِهَة كَمَا يَقُولُونَ إِذا لاَّبتَغَوا۟ إِلَىٰ ذِي ٱلعَرشِ سَبِيلا﴾ [الإسراء : ٤٢] ، ذهب مكي إلى تقرير ألوهية الله تعالى بدليل التمانع فقال: "قل – يا أيها الداعي إلى الله- لهؤلاء المشركين: لو كان مع الله آلهة تحكم الكون وتتصرف كما تقولون، إذاً لطلب هؤلاء الآلهة الأرباب إلى صاحب العرش الذي

---

(١) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية: (٤٦٣/٢-٤٦٤)

(٢) ينظر : المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي ، ص٢٨٦، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري: (٦٠٣/١٤)

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

يعترفون به رباً خالقاً له، طريقاً بالمغالبة والقهر؛ لأن الإلهيَّة المتضمنة كمال التصرف وكمال القدرة لا تقبل الخضوع والاستسلام لربَّ هو إله ومعبود فوقها، أما وإنها لم تتخذ هذا السبيل لربِّ العرش، ورضيت بضعفها وإلهيَّتها المزعومة في نطاق الأرض، فإن ضعفها هذا من الأدلة القاطعة على أنها مخلوقة كسائر المخلوقات، وقد انتُحلت لها الإلهيّة انتحالاً باطلاً، لا يصاحبه دليل تقبله العقول السليمة". (٦٦)

وقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء : ٢٢] ، فلَوْ كَانَ فِي السموات والأرض آلِهَةٌ حقيقية غير الله، تدبر شؤونهما، لخرجتا عن نظامهما، ولاختلَّ تماسكهما، وهلك من فيهما؛ لأن الإرادات الحرة إذا توجهت شطر مخلوق، فلا بد أن تتعارض، ومتى تعارضت تنازعت، ومتى تنازعت فسد نظام المخلوق، لما يحدث بين الآلهة من التنازع والاختلاف، والكون كله مخلوق مترابط بوحدة نظام وتسيير كما هو مشاهد، فلو كان فيه آلهة غير الله لفسد نظامه، واختل بقاؤه، فتنزه الله خالق العرش؛ أعظم المخلوقات وأكبرها عما يصفه به المشركون من الشريك والولد وكل نقص. (٦٧)

فكما دل دليل التمانع على توحيد الربوبية، وأن الخالق واحد لا رب غيره، وذلك تمانع في الفعل والإيجاد، فهو دليل أيضاً على توحيد الألوهية، وأن الإله الحق واحد لا شريك معه، وهذا تمانع في العبادة والإلهية. (٦٨)

٨/ الاستدلال على تقرير توحيد الألوهية بضرب الأمثال، وقد ضرب الله سبحانه وتعالى للناس في هذا القرآن من كل مثل؛ لما في ضرب الأمثال من فوائد كثيرة كالتذكير والوعظ والحث والزجر والتقرير وتقريب المعنى المراد (٦٩)، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً﴾ [الإسراء : ٨٩]

---

(١)ينظر : المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي ، ص ٢٨٦ ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري: ، (٦٠٣/١٤)

(٦٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري: ، (٢٤٦/١٦)، المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد بن أحمد مكي: ص٣٢٣

(٣) ينظر: الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية: (٤٦٤/٢)

(٤) ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية: (١٣٠/١-١٤٦)

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

ومن الأمثلة القرآنية على تقرير توحيد الألوهية ما يأتي:

١/ الأمثال المضروبة لله ولما يعبد من دونه، فضرب الله تعالى مثلًا لنفسه ولما يعبد من دونه بعدم تقبل المشركين إشراك عبيدهم في ما يخصهم، فكيف يقبلون ذلك لله تعالى؟

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم : ٢٨] هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُشْرِكِينَ بِهِ، الْعَابِدِينَ مَعَهُ غَيْرَهُ، الْجَاعِلِينَ لَهُ شُرَكَاءَ، يقول مكي مفسراً هذه الآية: يبين الله لكم من أنفسكم شبهاً بحالكم أيها المشركون لتقيسوا عليه: هل يشارككم عبيدكم في أموالكم التي أعطيناكم، فأنتم وهم متساوون في التصرف فيها؟ فإذا كنتم لا ترضون لأنفسكم أن يشاركوكم التصرف فيما رزقناكم من الأموال وغيرها، وهم أمثالكم في البشرية، فكيف تشركون به سبحانه في الألوهية مخلوقاته، فهذا التفصيل الذي فصلناه في هذا المثل الإقناعيّ لإبطال الشرك نفصل الدلالات والبراهين والأمثال لقوم يعقلون دلالتها ويفهمون معناها، فيمنعون أنفسهم وأهواءهم عن الاستمساك بالباطل واتباعه. (٧٠)

يقول الطبري رحمه الله: "مَثَّلَ لَكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ رَبُّكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ، ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ مِنْ مَمَالِيكِكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ، ﴿فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾مِنْ مَالٍ، ﴿فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾، فَإِذَا لَمْ تَرْضَوْا بِذَلِكَ لِأَنْفُسِكُمْ فَكَيْفَ رَضِيتُمْ أَنْ تَكُونَ آلِهَتُكُمُ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا لِي شُرَكَاءَ فِي عِبَادَتِكُمْ إِيَّايَ، وَأَنْتُمْ وَهُمْ عَبِيدِي وَمَمَالِيكِي، وَأَنَا مَالِكٌ جَمِيعُكُمْ" (٧١)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "بين سبحانه بالمثل الذي ضربه لهم أنه لا ينبغي أن يجعل مملوكه شريكه فقال: ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ يخاف أحدكم مملوكه كما يخاف بعضكم بعضًا فإذا كان أحدكم لا يرضى أن يكون مملوكه شريكه فكيف ترضونه لله؟ " (٧٢)

٢/ المثل المضروب لكلمة التوحيد وكلمة الشرك، فقد ضرب الله سبحانه وتعالى مثلًا لكلمة التوحيد بالشجرة الطيبة، ومثلًا لكلمة الشرك بالشجرة الخبيثة قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ, تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ, وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم : ٢٤-٢٦]

---

(٧٠) ينظر : تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير: (٢٨١/٦)، والمعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي: ٤٠٧ .

(٧١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري ، (٤٨٩/١٨) .

(٧٢) مجموع الفتاوى، اقي الدين بن أحمد بن تيمية: (١٥٦/١) .

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

في هذه الآيات مَثَّلَ اللَّهُ مَثَلًا وَشَبَّهَ شَبَهًا لكَلِمَةً التوحيد الطَّيِّبَةً (لا إله إلا الله)، وما يتفرع عن هذه الكلمة مثل: الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كشجرة طيبة وهي النخلة، وفي هذه الآية التنبيه إلى عظمة هذا المثل الذي تصوّر فيه المعقولات والمعلومات بصور المشهودات والمرئيات، وقد وصفت كلمة التوحيد بأنها طيبة؛ لأن مدلولها وموضوعها هو الله سبحانه، المتصف بالكمال، والمنزه عن العيوب والنقائص، فهي كلمة طيبة لذاتها، مطيبة للقلب الذي اعتقدها، ومطهرة له من الشرك والكفر، وَيُمَثِّلُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَيُشَبِّهُ لَهُمُ الْأَشْيَاءَ، لِيَتَذَكَّرُوا حُجَّةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، فَيَعْتَبِرُوا بِهَا وَيَتَّعِظُوا، فَيَنْزَجِرُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بِهِ إِلَى الْإِيمَانِ.

وقوله تعالى: وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ هَذَا مَثَلُ كلمة الشرك الخبيثة كشجرة الحنظل الخبيثة لَا أَصْلَ لَهَا وَلَا ثَبَاتَ، كذلك الكافر لا ثبات له، ولا خير فيه، ولا يصعد له قول طيب، ولا عمل صالح.(٧٣)

٣/ الأمثال المضروبة في بيان عجز الآلهة من دون الله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج : ٧٣]

يَقُولُ تَعَالَى مُنَبِّهًا عَلَى حَقَارَةِ الْأَصْنَامِ وَسَخَافَةِ عُقُولِ عَابِدِيهَا: يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ لِمَا يَعْبُدُهُ الْجَاهِلُونَ بِاللَّهِ الْمُشْرِكُونَ بِهِ فتدبروه حق تدبره وأَنْصِتُوا وَتَفَهَّمُوا إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ أَيْ لَوِ اجْتَمَعَ جَمِيعُ مَا تَعْبُدُونَ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ عَلَى أَنْ يَقْدِرُوا عَلَى خَلْقِ ذُبَابٍ وَاحِدٍ مَا قَدَرُوا عَلَى ذَلِكَ، فكيف تتخذ هذه الأصنام والأنداد آلهة تعبد من دون الله؟ (٧٤)

يقول ابن القيم رحمه الله : "حقيق على كل عبد أن يستمع قلبه لهذا المثل ويتدبره حق تدبره؛ فإنه يقطع مواد الشرك من قلبه، وذلك أن المعبود أقل درجاته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده وإعدام ما يضره، والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق الذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقه، فكيف ما هو أكبر منه؟ ولا يقدرون على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئًا مما عليهم من طيب ونحوه فيستنقذوه منه، فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو من أضعف الحيوانات ولا على الانتصار منه واسترجاع ما سلبهم إياه، فلا أعجز من هذه الآلهة ولا أضعف منها، فكيف يستحسن عاقلٌ عبادتها من دون الله" (٧٥)

---

(٧٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير:(٤/٤٢٢-٤٢٣)، جامع البيان الطبري: (١٣/ ٦٣٤-٦٣٥)، والمعين على تدبر الكتاب= المبين، مجد مكي: ٤٠٧

(٧٤) ينظر : تفسير القرآن العظيم، ابن كثير:(٣٩٧/٥)، والمعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي ، ص ٣٤١ .

(٧٥) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية: (١٨١/١)

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وضرب الله سبحانه وتعالى مثلًا لبيان عجز آلهة المشركين عن حماية عابديها ببيت العنكبوت, فقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت : ٤١] ، فهذا مثل ضربه الله لمن عبد معه غيره من الآلهة والأوثان، يقصد به التعزز والتَّقَوِّي والنفع، فإن مثله كمثل العنكبوت، اتخذت بيتا يقيها من الحر والبرد والآفات، ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ﴾ أضعفها وأوهاها ﴿لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ فالعنكبوت من الحيوانات الضعيفة، وبيتها من أضعف البيوت، فما ازدادت باتخاذه إلا ضعفا، فَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ حِينَ نَزَلَ بِهِمْ أَمْرُ اللَّهِ، وَحَلَّ بِهِمْ سَخَطُهُ أَوْلِيَاؤُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ شَيْئًا، وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ بِهِمْ مِنْ سَخَطِهِ بِعِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُمْ، بل ازدادوا ضعفا إلى ضعفهم، ووهنا إلى وهنهم. (٧٦)

فهذه جملة من الأدلة أوردها مكي في تفسيره لتقرير توحيد الألوهية.

المطلب الثالث: توحيد الألوهية هو دعوة الرسل :

دلت النصوص الصريحة بأن توحيد الألوهية هو التوحيد الذي من أجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، وكان أول دعوة جميع الرسل، وهو أول الدين وآخره وباطنه وظاهره، ولتحقيقه سلت سيوف الجهاد، وفرق بين المؤمنين والكافرين، وبين أهل الجنة وأهل النار، فجميع رسالات الرسل، من أولهم نوح عليه الصلاة والسلام، إلى آخرهم محمد ﷺ، كلها تدعو إلى توحيد الألوهية، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

يقول مكي عند تفسير آية الأنبياء: "وما أرسلنا من قبلك يا رسول الله من رسول إلا نوحي إليه أنه لا معبود يعبد بحق إلا أنا، فوحدوني وأخلصوا العبادة لي" (٧٧)

ويؤكد مكي هذا المعنى عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل : ٣٦] بأن الله بعث في كل أمم الأرض رسلاً كما بعث محمد ﷺ رسولاً للناس جميعاً يأمرونهم بأن يعبدوا الله وحده ويجتنبوا عبادة كلَّ كثير الطغيان، وكل رأس في الضلال، وكل ما عبد من دون الله. (٧٨)

يقول الطبري رحمه الله: "وَلَقَدْ بَعَثْنَا أَيُّهَا النَّاسُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ سَلَفَتْ قَبْلَكُمْ رَسُولًا كَمَا بَعَثْنَا فِيكُمْ بِأَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَفْرِدُوا لَهُ الطَّاعَةَ وَأَخْلِصُوا لَهُ" (٧٩)

---

(٧٦) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي: ٦٣١، وجامع البيان الطبري: (١٨/ ٤٠٣)، المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي ، ص ٤٠١ .

(٧٧) ينظر : المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي ، ص ٣٢٤.

(٧٨) المصدر السابق ، ص ٢٧١.

(٧٩) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري ، (٢١٦/١٤).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله: "وكل أمة بعث الله إليها رسولا، من نوح إلى محمد، يأمرهم بعبادة الله، وينهاهم عن عبادة الطاغوت" [٨٠]
وقد اعتنى مكي ببيان أن أصل دعوة الرسل عليهم السلام هي توحيد الألوهية، وهي متوارثه بين أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، ومن ذلك ما قاله عند وصية إبراهيم ويعقوب في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ [البقرة : ١٣٢] "حين قال الله تعالى لإبراهيم: استقم على الإسلام واثبت عليه قال إبراهيم مستجيبا للتكليف الرباني: خضعت بالطاعة، وأخلصت العبادة لمالك الخلائق ومدبرها ورازقها ومربيها وفق نظام التربية المتدرج وممدها برعايته وحفظه. فأسلموا لله رب العالمين منقادين خاضعين مطيعين لأوامره التي يبلغكم إياها محمد خاتم رسله ... ووصى إبراهيم بنيه إسماعيل واسحاق ويعقوب بكلمة الإخلاص والملة الحنيفية والاستسلام الكامل لرب العالمين، ووصى يعقوب بنيه وكانوا اثنا عشر ولداً أحدهم يوسف عليه السلام بمثل ما وصى به إبراهيم عليه السلام"[٨١]

ثم قال مكي عند آية : ١٣٣ ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ "واذكروا وقت قال لأبنائه الاثني عشر (أي شيء تعبدون من بعدي؟ قالوا له: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل واسحاق معبودا واحدا لا شريك له، ونحن له مستسلمون مخلصون في العبودية" [٨٢]

يقول الطبري رحمه الله: "وَوَصَّى بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ؛ أَعْنِي بِالْكَلِمَةِ قَوْلَهُ : ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة : ١٣١] وَهِيَ الْإِسْلَامُ الَّذِي أَمَرَ بِهِ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ وَالتَّوْحِيدُ لِلَّهِ، وَخُضُوعُ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ لَهُ" [٨٣]

وأكد مكي على وصية إبراهيم عليه السلام لأبنائه عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾[الزخرف : ٢٨] ، "وجعل إبراهيم عليه السلم الكلمة التي قالها لأبيه وقومه، (إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني)، باقية في ذريته إلى يوم القيامة، ووصّى بها من كان حيّا من أولاده قبل موته، وأوصاهم أن يجعلوها وصيته بنقلها خلف عن سلف، راجياً بهذه الوصية أن ترجع ذريته إلى تذكرها، وأن يلتزموا بمضمونها"[٨٤]

وقال عند قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

([٨٠]) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، علماء نجد الأعلام: (١٣٦/١) .
([٨١]) المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي ، ص٢٠.
([٨٢]) المرجع السابق ، ص٢٠.
([٨٣]) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري: (٥٨٢/١) .
([٨٤]) المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي ، ص ٤٩١ .

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

[الأحقاف : ٢١] ، والحال أن هود عليه السلام قال لقومه قول الرسل الذين بعثوا قبله، والذين سيبعثون من بعده، ألا تشركوا مع الله شيئاً في عبادتكم.[٨٥]

وقال في ختام سورة الحديد: ونؤكد لكم تأكيداً بليغاً أننا أرسلنا رسلنا، نوحاً وإبراهيم عليهما السلام، بالدلالات والآيات والحجج الواضحات، وجعلنا في أولادهما النبوة والكتب المنزلة، التَّوْرَاةُ، وَالْإِنْجِيلُ، وَالزَّبُورُ، وَالْفُرْقَانُ، المتضمنة للأحكام وشرائع الدين، ثم أتبعنا على آثار نوح وإبراهيم عليهما السلام، ومن مضى من الأنبياء برسلنا، رسولاً بعد رسول إلى أن انتهت الرسالة إلى عيسى ابن مريم، وختمت بمحمد ﷺ. [٨٦]

ثم بين في مواضع عدة أن أصل دعوة الرسل عليهم السلام، هي الدعوة لعبادة الله وحده لا شريك له، منها ما قاله عند قول الله تعالى حكاية عن جواب عيسى عليه السلام لسؤال ربه يوم القيامة ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة : ١١٦] "قال عيسى عليه السلام تنزيها لك عن النقائص وبراءة لك من العيوب: ليس من شأني أن أقول مثل هذا القول، ولا يمكن أن يصدر عني؛ لأنه ليس بحق، ولست استحق العبادة حتى ادعو الناس إليها ... ما قلت لهم إلا قولا أوحيته إلي وأمرتني بتبليغه أن اعبدوا الله، ووحدوه، ولا تشركوا به شيئا؛ فهو المستحق للعبادة وحده؛ لأنه هو الذي خلقني، فأنا مخلوق، فكيف أكون إلها! وهو الذي خلقكم وحده فكيف تعبدون غيره![٨٧]

وأكد مكي دعوة الرسل إلى توحيد العبادة بقسم الله على ذلك؛ فقال عند تفسير قول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام : ٤٢] "واقسم لك مؤكدا يا رسول الله أننا أرسلنا رسلا إلى أمم من قبلك فكذبوهم ولم يستجيبوا لدعوتهم، فانتقمنا منهم بالفقر والجوع والامراض والاوجاع رغبة أن يتذللوا لربهم ويخضعوا له وحده بالعبادة".[٨٨]

وعند دعوة الرسل نوح وهود وصالح عليهم السلام وقول كل واحد منهم ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ قال مكي عند تفسير قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَقالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾) [الأعراف : ٥٩] "نقسم مؤكدين أننا أرسلنا نوحا إلى قومه نبيا ورسولا، فقال: يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له، ما لكم في الوجود من إله يعبد بحق غير الله سبحانه؛ فإنه هو الذي يستحق العبادة" ثم قال: "ولقد أرسلنا إلى قبيلة عاد أخاهم في النسب هودا نبيا ورسولا، قال: يا قوم اعبدوا الله وحده ولا تجعلوا معه

---

(٨٥)المرجع السابق ، ص ٥٠٥ .

(٨٦) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري: (٢٢/ ٤٢٤-٤٣٤)، و المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي: ص ٥٤١ .

(٨٧) المصدر السابق ، ص١٢٧.

(٨٨) المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي ، ص١٣٢.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

إلها آخر، ما لكم من معبود هو رب يستحق أن يعبد غير الله " [٨٩]، ثم يتابع مكي تفسيره للآيات فيقول حكاية عن صالح عليه السلام يا قوم اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، فما لكم من إله يستحق أن يعبد سواه، قد جاءتكم الحجج والبراهين الواضحة على صدق ما أقول وأدعو إليه من عبادة الله وحده لا شريك له. [٩٠]

فلَمَّا بَيَّنَ سبحانه في سورة الأعراف أَنَّهُ الْخَالِقُ الْقَادِرُ عَلَى الْكَمَالِ ذَكَرَ أَقَاصِيصَ الْأُمَمِ وَمَا فِيهَا مِنْ تَحْذِيرِ الْكُفَّارِ وتقرير التوحيد لله وحده لا شريك له، مؤكداً على هذه المعاني بالقسم. [٩١]

فالتوحيد الذي خلقت الكائنات لأجله وأرسلت الرسل لأجله وأنزلت الكتب لأجله هو إفراد الله بالعبادة ونفيها عما سواه كما حكى الله عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف : ٢٦-٢٨] ، والكلمة التي جعلها في عقبه على ما ذكره المفسرون هي عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَخَلْعُ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَوْثَانِ، وهي لا إله إلا الله لأن لا إله نفي الآلهة الباطلة وذلك قوله: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾، وإلا الله إثبات الألوهية لله تعالى وذلك قوله: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾، فتحقق أن التوحيد الذي جاءت به الرسل و ألزم الله به العبيد هو إفراد الله بالعبادة وحده لا شريك له. [٩٢]

المطلب الرابع: الشرك في الألوهية :

اعتنى مكي في تفسيره ببيان معنى الشرك في توحيد الألوهية، وقد جاء بيانه في كثير من المواضع بعدة ألفاظ، كلها تأتي بمعنى إشراك غير الله مع الله في العبادة.

يقول مكي عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٢] "فلا تجعلوا لله أمثالاً ونظراء تعبدونها كعبادته، وأنتم تعلمون أن هذه الأصنام والأوثان لا يصح عبادتها"[٩٣]

([٨٩]) المرجع السابق ، ص١٥٨.

([٩٠]) المرجع السابق ، ص ١٥٩

([٩١]) ينظر : الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي: (٢٣٢/٧)، المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي: ص ٣٨١،٢٢٩،٢٢٧،٢٢٤ .

([٩٢]) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي: (٧٧/١٦)، تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير: (٢٠٧/٧) والمعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي: ٤٩١.

([٩٣]) ينظر : المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي ، ص ٤ .

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الشِّرْكُ فِي الْإِلَهِيَّةِ هُوَ: أَنْ يَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا - أَيْ: مِثْلًا فِي عِبَادَتِهِ أَوْ مَحَبَّتِهِ أَوْ خَوْفِهِ أَوْ رَجَائِهِ أَوْ إنَابَتِهِ فَهَذَا هُوَ الشِّرْكُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ إلَّا بِالتَّوْبَةِ مِنْهُ" (٩٤)

ومن الشرك في الألوهية التسوية بين من يستحق العبادة ومن لا يستحقها؛ وذلك بوضع العبادة في غير موضعها. (٩٥) يقول مكي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٠] "وهم بربهم يشركون فيعبدون ما لا يستحق العبادة وينصرفون إلى غيره من خلقه"(٩٦).

قال تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة : ١٦٣] فالذي يستحق العبادة إله واحد سبحانه في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، لا معبود بحق إلا هو، وكُلَّ مَا سِوَاهُ فَهُمْ خَلْقُهُ، وَالْوَاجِبُ عَلَى جَمِيعِهِمْ طَاعَتُهُ، وَالِانْقِيَادُ لِأَمْرِهِ وَتَرْكُ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ وَهَجْرِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، لِأَنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ خَلْقُهُ وَعَلَى جَمِيعِهِمُ الدَّيْنُونَةُ لَهُ سبحانه بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ، فَلَا تَنْبَغِي الْأُلُوهِيَّةُ إِلَّا لَهُ. (٩٧) ويؤكد مكي على استحقاق الله سبحانه وتعالى للألوهية وحده لا شريك له ومحذراً من الشرك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٥] بقوله: "نقسم لك لئن أشركت بالله غيره ليحبطن عملك الذي عملته قبل الشرك" (٩٨)، فاحذر أن تشرك بالله شيئاً فتهلك. (٩٩)

ويبين مكي أنواع شرك التوحيد عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء : ٤٨] ، فيقول : "ومن يجعل مع الله شريكاً في ربوبيته أو ألوهيته، فقد اختلق ذنباً عظيماً غير مغفور إن مات عليه" (١٠٠) ويؤكد هذا المعنى عند تفسير هذه الآية : ١١٦فيقول: "إن الله لا يغفر لمشرك مات على شركه، ولا تشمله رحمة الله بنجاته من الخلود في عذاب النار، ويغفر الله سبحانه

---

(٩٤) ينظر :مجموع الفتاوى، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية: (٩١/١) .
(٩٥) ينظر: المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي: ص ٤١٢ .
(٩٦) المرجع السابق ، ص١٤٨.
(٩٧) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري: (٢/ ٧٤٦)، و المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي: ص ٢٤ .
(٩٨) ينظر : المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي ، ص ٤٦٥ .
(٩٩) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري: (٢٤٤/٢٠) .
(١٠٠) ينظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير: (٢٨٥/٦)، و المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي ، ص ٤١٤.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

ما دون الشرك في كل المعاصي، كبائرها وصغائرها لمن يشاء من أهل التوحيد، ومن يشرك بالله غيره؛ فيدعي أن له شريكا في الخلق والتكوين أو في الوجود مما يماثله ذاتا أو صفات، أو يدعي أنه يستحق العبادة معه، فقد ذهب عن طريق الهدى وحرم الخير كله إذا مات على شركه. فعقوبة الاشراك بالله في ربوبيته أو الهيته وسائر دركات الكفر الخلود الابدي في عذاب النار يوم الدين، وهذا من العدل؛ لأن الكافر لو جعله الله تعالى خالدا في الحياة الدنيا لبقي كافرا أبدا فاستحق بالعدل الخلود في العذاب، وعقوبة المعاصي من دون الاشراك بالله تكون على مقاديرها كما وكيفا. ويغفر الله ما يشاء منها برحمته على وفق حكمته وبحسب علمه بأحوال عباده".[١٠١]

فالله سبحانه وتعالى لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون الشرك من الذنوب والمعاصي لمن يشاء، ومن يجعل لله الواحد الأحد شريكاً له من خلقه فقد ابتعد عن الطريق الواضح والحق المبين بعداً كبيراً. [١٠٢]

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: "الشرك لا يغفره الله تعالى لتضمنه القدح في رب العالمين وفي وحدانيته وتسوية المخلوق الذي لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا بمن هو مالك النفع والضر، الذي ما من نعمة إلا منه، ولا يدفع النقم إلا هو، الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه، والغنى التام بجميع وجوه الاعتبارات، فمن أعظم الظلم وأبعد الضلال عدم إخلاص العبادة لمن هذا شأنه وعظمته، وصرف شيء منها للمخلوق الذي ليس له من صفات الكمال شيء، ولا له من صفات الغنى شيء بل ليس له إلا العدم. عدم الوجود وعدم الكمال وعدم الغنى، والفقر من جميع الوجوه" [١٠٣]

المطلب الخامس: الشفاعة :

فإن من قواعد وأصول أهل السنة والجماعة في توحيد الألوهية الشفاعة وأنها ملك خاص لله تعالى، ومن رحمته سبحانه بنا وفضله علينا وهبها من شاء من عباده، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر : ٤٤]، فالله وحده الشفاعة جميعاً إذناً وقبولاً واستجابةً، لا يشفع عند الله أحد إلا بإذنه، فالواجب أن تُطلب الشفاعة ممن يملكها وهو الله جل في علاه، وأن تخلص له العبادة، ولا تُطلب من غيره. [١٠٤]

([١٠١]) ينظر : المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي ، ص٩٧ .

([١٠٢]) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري: (١٢١/٧)، والمعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي: ص١١١.

([١٠٣]) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، ص ٢٠٢ .

([١٠٤]) المرجع السابق ، ٧٢٦، و المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي: ص ٤٦٣.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

يقول ابن كثير رحمه الله: " يَقُولُ تَعَالَى ذَامًّا لِلْمُشْرِكِينَ فِي اتِّخَاذِهِمْ شُفَعَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهُمُ الْأَصْنَامُ وَالْأَنْدَادُ الَّتِي اتَّخَذُوهَا مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ بِلَا دَلِيلٍ وَلَا بُرْهَانٍ حَدَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَهِيَ لَا تملك شيئا من الأمر بل وَلَيْسَ لَهَا عَقْلٌ تَعْقِلُ بِهِ وَلَا سَمْعٌ تَسْمَعُ بِهِ وَلَا بَصَرٌ تُبْصِرُ بِهِ بَلْ هي جمادات أسوأ مِنَ الْحَيَوَانِ بِكَثِيرٍ، ثُمَّ قَالَ: قُلْ أَيْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الزَّاعِمِينَ أَنَّ مَا اتَّخَذُوهُ من شفعاء لهم عند الله تعالى أَخْبِرْهُمْ أَنَّ الشَّفَاعَةَ لَا تَنْفَعُ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَاهُ وَأَذِنَ لَهُ فَمَرْجِعُهَا كُلِّهَا إِلَيْهِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ" [١٠٥]

وقد اعتنى مكي بتقرير الشفاعة وبيان من هم الشفعاء وشروط الشفاعة الصحيحة، فقال: "ولا شفاعة لأحد إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، فلا تتكلوا على غيركم وأدوا ما كلفكم به ربكم، واحذروا أن تظلموا أنفسكم بمعصيته، والكافرون هم الظالمون؛ لأنهم وضعوا العبادة في غير موضعها"[١٠٦]

وقد أشار مكي إلى شروط الشفاعة الصحيحة فقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾ [طه : ١٠٩] "يوم تخشع جميع الأصوات للرحمن لا تنفع الشفاعة لأحد من الناس إلا بشرطين: الشرط الأول: من أذن له الرحمن أن يشفع، والشرط الثاني: أن يرضى الله سبحانه قول الشافع وما تضمنته شفاعته للمشفوع له" [١٠٧]

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: "لا يشفع أحد عنده من الخلق، إلا إذا أذن في الشفاعة ولا يأذن إلا لمن رضي قوله، أي: شفاعته، من الأنبياء والمرسلين، وعباده المقربين، فيمن ارتضى قوله وعمله، وهو المؤمن المخلص، فإذا اختل واحد من هذه الأمور، فلا سبيل لأحد إلى شفاعة من أحد" [١٠٨]

فلابد في الشفاعة من إذن الله عز وجل ورضاه عن الشافع والمشفوع له، قال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّماواتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشاءُ وَيَرْضى﴾ [النجم : ٢٦] فشروط الشفاعة هي: رضى الله تعالى عن الشافع، ورضاه عن المشفوع له، وإذنه تعالى للشافع بالشفاعة. [١٠٩]

([١٠٥]) ينظر : تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير: (٧/ ٩١-٩٢)

([١٠٦]) المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي ، ص٤٢.

([١٠٧]) ينظر : المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي ، ص ٣١٩ ، ٣٢٤ .

([١٠٨]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي: ٥١٣ .

([١٠٩]) ينظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر ابن كثير: (٤٢٥/٧)، و جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري: (٢٢/ ٥٦)، والمعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي: ٥٢٦ .

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: "لا بد من اجتماع الشرطين: إذنه تعالى في الشفاعة، ورضاه عن المشفوع له، ومن المعلوم المتقرر، أنه لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجه الله، موافقا فيه صاحبه الشريعة، فالمشركون إذاً لا نصيب لهم من شفاعة الشافعين، وقد سدوا على أنفسهم رحمة أرحم الراحمين"[١١٠]

ويظهر مما سبق أن مكي في تفسيره يقرر معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الألوهية ومعنى لا إله إلا الله، كما أنه يستدل على ألوهية الله بما ذهب إليه السلف في كتبهم وتفاسيرهم، فيعتقد بأن الله وحده هو المستحق للألوهية والعبادة، كما أنه يصرح في أن معنى الشهادة هو التأله والتعبد لله وحده لا شريك له، وقد دلل مكي على هذا النوع من التوحيد بعدة أدلة؛ كالاستدلال بتوحيد الربوبية على وجوب إفراده سبحانه بالألوهية، والاستدلال على ربوبية الله الأمر بإخلاص التوحيد ووجوب إفراد الله بالعبادة، والاستدلال بكمال الله في ذاته وصفاته على توحيد الألوهية، والاستدلال بالآيات التي أرشد الله نبيه في الرد على المشركين لدعوتهم إلى عبادة غير الله، وهو ما قرره القرآن الكريم في مواضع عدة، ومنها: إقامة الحجة على أهل الكتاب والمشركين، ومما قرره مكي أن توحيد الألوهية هو التوحيد الذي من أجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، وكان أول دعوة جميع الرسل، وهو أصل لدين وأساسه، وأن الشرك في الألوهية هو إشراك غير الله مع الله في أي نوع من أنواع العبادة، كما قرر أن الشفاعة أصل من أصول توحيد الألوهية وهي ملك خاص لله تعالى.

وهذا الذي قرره مكي هو ما ذهب إليه السلف ونصوا عليه في عقائدهم وتفاسيرهم، وهو ما دلت عليه نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية[١١١].

الخاتمة : تشتمل علي نتائج البحث :

الحمد لله رب العالمين، وبعد النظر في المسائل العقدية المتعلقة بتوحيد الألوهية في التفسير (المعين على تدبر الكتاب المبين) يمكن استخلاص النتائج الآتية:

١/ يوافق مكي قول أهل السنة في تفسير المراد بالألوهية بأنه إفراد الله بالعبادة، وأنه المستحق لذلك لا شريك له، وهذا هو معتقد أهل السنة فإن الإله فهو المستحق للعبادة المألوه الذي تعظمه القلوب وتخضع له وتعبده عن محبة وتعظيم وطاعة وتسليم، ولذلك كان التوحيد الذي أمر الله عز وجل به العباد هو توحيد الألوهية المتضمن لتوحيد الربوبية بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا فيكون الدين كله لله، ولا يخاف

---

(١١٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي: ٨٢٠ .

(١١١) ينظر : منهاج السنة النبوية تقي الدين أحمد بن تيمية ٢٨٨/٣ وما بعدها بتصرف، وانظر أيضا في تحقيق هذه المسألة وتفصيلها مجموع الفتاوى ، تقي الدين أحمد بن تيمية ١٣٦/١، ١٠٠/٣، ١١/٢ . الدرر السنية في الأجوبة النجدية، علماء نجد الأعلام ، (١١٣/١٢).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

العبد إلا الله، ولا يدعو أحدا إلا الله ويكون الله أحب إليه من كل شيء؛ فالموحدون يحبون لله، ويبغضون لله، ويعبدون الله ويتوكلون عليه

٢/ يستدل مكي في تقرير ألوهية الله على ربوبيته وكمال أفعاله. والاستدلال بربوبية الله على ألوهيته مما دل عليه القرآن في آيات كثيرة، وقد فسرها السلف من الصحابة والتابعين وأئمة التفسير بذلك، وقرره أهل السنة وأهل الكلام في عقائدهم. ولا يتأول ذلك إلا مكابر معاند أو جاهل أو صاحب هوى؛ فإن من كان هذا وصفه ومن له الخلق والإحياء والتصرف في الكون فهو المستحق للعبادة وحده.

٣/ معتقد مكي واضح في تفسيره لآيات دعوة الرسل؛ فتوحيد الألوهية هو التوحيد الذي من أجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، وهو أول دعوة جميع الرسل.

٤/ مما قرره مكي -كما مر سابقا- أن المراد بالشرك: عبادة ما سوى الله بأي نوع من أنواع العبادة، كما يعتقد مكي أن شرك التوحيد أنواع، وأن الله لا يغفر لمشرك مات على شركه، ولا تشمله رحمة الله بنجاته من الخلود في عذاب النار، ويغفر الله سبحانه ما دون الشرك في كل المعاصي، كبائرها وصغائرها لمن يشاء من أهل التوحيد. كما يعتقد بالشفاعة كما هو مقرر عند أهل السنة وأن لها شروطا، فلا شفاعة لأحد إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى.

وهذا الذي قرره هو ما ذهب إليه السلف ونصوا عليه في عقائدهم، وهو ما دلت عليه نصوص القرآن والسنة.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

المصادر والمراجع:

١- أثر اتجاهات المفسرين في مناهجهم، مصطفى المشني ، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة الكويت ، م ٣٢ ، عدد ١١٩ ، ٢٠١٧م .
٢ - إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، رتبه وضبطه وخرج آياته محمد عبد السلالم إبراهيم ، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، الناشر دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .
٣ - بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان .
٤ - التفاسير المختصرة اتجاهاتها ومناهجها، د. محمد بن راشد البركة ، الكتاب رسالة دكتوراه ، قسم القرآن الكريم وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وقد قام بطبع الكتاب ونشره كرسي القرآن الكريم وعلومه في جامعة الملك سعود سنة ١٤٣٦هـ٢٠١٤م .
٥ - تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير ، وضع حواشيه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
٦ - التفسير المعين على تبر الكتاب المبين، مجد أحمد مكي ، ١٤٣١ – ٢٠١٠ ، دار نوادر المكتبات للنشر والتوزيع - مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع .
٧ - تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، المحقق: زهير الشاويش ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢ م ، الناشر: المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق.
٨ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م ، الناشر: مؤسسة الرسالة .
٩ - جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري ، توزيع: دار التربية والتراث - مكة المكرمة .
١٠ - الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م ، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة .
١١ - الدرر السنية في الأجوبة النجدية، علماء نجد الأعلام ، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، الطبعة: السادسة، ١٤١٧ هـ/١٩٩٦ م.
١٢ - دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية ، المحقق: د. محمد السيد الجليند ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤، الناشر: مؤسسة علوم القرآن – دمشق.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

١٣ - الجامع الصحيح : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، الناشر : دار الشعب – القاهرة، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٧ه – ١٩٨٧م .
١٤ - الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الناشر : دار الجيل بيروت ودار الأفاق الجديدة - بيروت.
١٥ - الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ ، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية.
١٦ - العلم والبحث العلمي، حسين عبد الحميد أحمد رشوان , ١٩٨٧م ، الناشر المكتب الجامعي الحديث .
١٧ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن بن عبد الوهاب ، المحقق: محمد حامد الفقي ، الطبعة: السابعة، ١٣٧٧ هـ/١٩٥٧ م ، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر .
١٨ - القول السديد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، المحقق: المرتضى الزين أحمد ، الطبعة: الثالثة ، الناشر: مجموعة التحف النفائس الدولية .
١٩ - لسان العرب، محمد ابن منظور ، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين ، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ ، الناشر: دار صادر – بيروت.
٢٠ - مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله ، وساعده: ابنه محمد وفقه الله ، عام النشر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م ، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة – السعودية .
٢١ - مدارج السالكين مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم الجوزية ، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي ، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت .
٢٢ - معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ حكمي ، المحقق : عمر بن محمود أبو عمر ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م ، الناشر : دار ابن القيم – الدمام .
٢٣ - معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، المحقق : عبد الرزاق المهدي ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ ، الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت .
٢٤ - مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني ، الطبعة: الطبعة الثالثة ، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه .

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

٢٥ - منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، المحقق: محمد رشاد سالم ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
٢٦ - منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية ، جلال محمد موسي ، تقديم وتحليل أ.د / محمد علي أبو ريان ، ١٩٨٢م ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت – لبنان .

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413